

اسم المادة: ١٢ الإيمان بالكتب

من سلسلة: الوحي وبناء الإيمان

لفضيلة الشيخ: أحمد جلال

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: ١٢ الإيمان بالكتب
من سلسلة: الوحي وبناء الإيمان
لفضيلة الشيخ: أحمد جلال
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-214350.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

اللهم لك الحمد كله، ولك الشكر كله، وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره، فأهلٌ أنت أن تُحمد، وأهلٌ أنت أن تُعبد، وأنت على كل شيء قدير.

اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا.

لما سأل جبريل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أركان الإيمان فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، والحمد لله انتهينا من الإيمان بالله -سبحانه وتعالى-، وانتهينا من الإيمان بالملائكة.

وبقي معنا اليوم في إن شاء الله في هذا الدرس الإيمان بالكتب.

ما هو الإيمان بالكتب؟

الإيمان بالكتب معناه باختصار: هو الإيمان الجازم أن هذه الكتب هي كلام الله -سبحانه وتعالى-، تكلم الله بها حقيقةً من الله -عز وجل- إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- مباشرةً أو عن طريق واسطة، أنزلها الله -سبحانه وتعالى- لتكون نورًا وهدايةً للخلق، نؤمن بها أيضًا؛ نؤمن بما عَلِمنا ونؤمن بما لم نعلم.

نؤمن بالكتب التي أنزلها الله على الأنبياء والمرسلين ما عرفنا منه، فالله -عز وجل- أخبرنا أن هناك كتب أُنزلت نحن لا نعرفها، وهناك كتب أنزلت ونحن نعرفها، فكما أن الله -عز وجل- أرسل رسلًا قال الله -عز وجل-: "مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ" غافر:٧٨، فكذلك أيضًا ذكر كتبًا في كتابه وكتبًا لم تذكر في القرآن. والمؤمن يؤمن بكل هذا من عند الله -سبحانه-.

أنزل الله -عز وجل- هذه الكتب لتكون هدايةً للخلق، فمن اتبعها هدي إلى صراط مستقيم في الدنيا والآخرة، ومن تركها وراء ظهره وأعرض عنها عوقب في الدنيا والآخرة.

قال الله -سبحانه وتعالى-: "فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى -أي كتبا تنجي من السماء هي مصدرًا للهداية- فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" البقرة:٣٨.

وقال الله –سبحانه وتعالى–: "فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ" طه١٢٣:١٢٤.

وقال الله –عز وجل–: "كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا" طه:٩٩، أنزلنا عليك يا محمد كتابًا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرًا. هذه الكتب نؤمن بها أنها من عند الله –عز وجل–.

قال الله –عز وجل–: "كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ" البقرة:٢٨٥.

وقال الله –عز وجل–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ" النساء:١٣٦.

فاحنا نؤمن بكل هذه الكتب اللي ربنا –سبحانه وتعالى– أنزلها على الأنبياء والمرسلين.

ولقد بين الله –سبحانه وتعالى– خطر أن يكفر الإنسان بكتاب من هذه الكتب، فقال ربي –تبارك وتعالى–: "وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا" النساء:١٣٦.

طيب عايزين نعرف إيه قصة الإيمان بالكتب؟ وإيه الآثار الإيمانية المترتبة على الكتب؟ وإيه الحكمة وإيه الغاية من وراء إنزال هذه الكتب؟

تعالوا مع بعض نسأل نفسنا السؤال الأول:

لماذا أنزل الله الكتب؟ إيه الحكمة إنزال الكتب؟

الحكمة الأولى من إنزال الكتب: أن الله –عز وجل– أنزلها للناس لتكون نورًا وهداية للخلق:

قال الله –عز وجل– في شأن الإنجيل الذي أنزله على عيسى: "وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ" المائدة:٤٦.

وقال الله –عز وجل– في شأن التوراة التي أنزلها على موسى: "إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ" المائدة:٤٤، وفي آية أخرى: "وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ" الأعراف:١٥٤.

وقال الله –عز وجل– في شأن القرآن الذي أنزله على نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–: "قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ" المائدة١٥:١٦.

والله –عز وجل– قال أيضًا: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا –فسمى الله القرآن روحًا لأن بهذا القرآن تحيا القلوب– مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا" الشورى:٥٢.

فالقرآن هو النور الذي يضيء لك الطريق في سيرك إلى الله –سبحانه وتعالى–.

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه إن هذا القرآن سببٌ طرفه بيد الله وطرفه بأيدكم، وإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا، طول ما أنت متمسك بالقرآن لا يضل الإنسان أبداً ولا ينحرف، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي".

فأول غاية أو أول حكمة من إنزال الله –عز وجل– الكتب على الأنبياء والمرسلين أن تكون هذه الكتب نورًا للعباد، هداية للخلق.

الغاية الثانية: أن تكون هذه الكتب فيها الموعظة الرقيقة التي ترقق القلوب، وتكون سببًا في شفاء الصدور. صدور ونفوس مليئة بالأمراض، أنزل الله –عز وجل– لتكون هذه الكتب موعظة بليغة ترق بها القلوب وتدمع بها العيون.

قال الله –عز وجل– في شأن التوراة التي أنزلها على موسى: "وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ" الأعراف:١٤٥.

وقال الله –عز وجل–: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ" الفرقان:٣٢، فالله –عز وجل– أنزل هذه الكتب ليكون فيها الموعظة التي ترق بها القلوب، لتكون هذه الكتب سببًا لتثبيت أفئدة المؤمنين على طريق الله –سبحانه وتعالى–.



الأمر الثالث: ولماذا أنزل الله الكتب؟ أنزلها الله –عز وجل– لتكون شفاءً لما في الصدور من أمراض. فمما لا شك فيه إن صدور الناس فيها الحسد وفيها الكراهية وفيها الغل وفيها البغضاء، وفيها كثير من الأمراض. كيف نداوي هذه الأمراض؟ أنزل الله الكتب لتكون شفاءً لهذه الأمراض.

قال الله –سبحانه وتعالى–: "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ" الإسراء:٨٢، ما هو شفاءٌ ورحمة.

الأمر الرابع: أنزل الله –عز وجل– هذه الكتب لتضع لنا قواعد تبين لنا كيف نسير إلى الله –سبحانه وتعالى–. أي إنسان مسافر في طريق؛ الطريق مكتوب عليه لوحات إرشادية تبين له كيف الوصول إلى الغاية التي يريد أن يصل إليها، كذلك القرآن، كذلك الكتب التي أنزلها الله –عز وجل–؛ كل كتاب أنزله الله –سبحانه وتعالى– على نبي من الأنبياء أو على رسول من الرسل، أنزل الله هذا الكتاب ليكون بمثابة القواعد التي توصل العباد إلى مرضات الله –عز وجل–، وتوصل العباد إلى سبيل النجاة، وتوصل العباد إلى الجنة.

شوفوا ربنا –سبحانه وتعالى– بيبين هذه القواعد، فيقول ربي –عز وجل–: "قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ" الأعلى١٤:١٩، يعني في صحف إبراهيم وموسى أنه ينبغي على الإنسان أن يزكي نفسه، وينبغي على الإنسان أن يؤثر الآخرة على الدنيا. كل هذه قواعد تبين لك الطريق إلى الله –سبحانه وتعالى–.

الحكمة الخامسة لماذا أنزل الله –عز وجل– الكتب؟

أنزل الله –عز وجل– الكتب ليضع فيها الأحكام الشرعية التي يعمل بها العباد، فيسعدون سعادة الدنيا والآخرة، شوفوا آية واحدة من كتاب الله "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ" البقرة:١٧٩، تخيلوا لو كل قاتل النهاردة قتل عمدًا يُقتل، إيه اللي هيحدث؟ لن نرى قتلًا في شوارع المسلمين، مش هتشوف النهاردة فلان اللي دبح زميلته وفلان اللي قتل زوجته وفلانة اللي قتلت زوجها وفلان اللي قتل صاحبه، ليه؟ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ، تخيلوا لو طبقنا هذا الحكم فقط.

تخيلوا النهاردة لو هناك بالفعل حجاب بين الرجال والنساء، فلا اختلاط محرم بين الأولاد والبنات، كما قال الله –عز وجل–: "فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ" الأحزاب:٥٣، شوفوا كمية المفاسد اللي هيتم القضاء عليها.

والله العظيم ما فسدت الأرض، وما فسدت معايش الناس إلا في اليوم الذي تخلى فيه الناس عن الأحكام التي أنزلها الله –سبحانه وتعالى–. الله –سبحانه وتعالى– بين إن السعادة في اليوم اللي هنطبق فيه الأحكام التي أنزلها الله –عز وجل–، قال ربي –عز وجل–: "وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم" المائدة:٦٦، اليوم اللي هتقيم فيه الأمم ما أنزله الله –عز وجل– إليها ستسعد سعادة أبدية، ليه؟ بسبب القواعد والتشريعات اللي ربنا –سبحانه وتعالى– وضعها.

ربنا –سبحانه وتعالى– حرّم الخنزير، تخيلوا أمم كاملة ضاعت بسبب أكل الخنزير، لما حصل الأمراض المتعلقة بالخنازير، تخيلوا بلاد كاملة قبرص، اليونان، غيرها انهارت هذه الدول وأعلنت إفلاسها بسبب الربا، فلو طبقوا حكم الله في تحريم الربا لما انهارت هذه البلاد، سبحان الله! أنزل الله الكتب ليضع فيها القواعد والأحكام لتسير عليها الأمم. كذلك أيضًا أنزل الله –عز وجل– هذه الكتب ليضع فيها أصول الوصول إليه –سبحانه وتعالى–.

أنزل الله –عز وجل– هذه الكتب ليضع فيها قواعد توصل العبد إلى الله، توصل العبد إلى العبودية، توصل العبد إلى القرب منه –سبحانه وتعالى–.

قال –تعالى–: "وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ" الأنبياء:٧٣.



كذلك أيضًا أنزل الله –عز وجل– هذه الكتب –من ضمن الأحكام– أنزل الله –عز وجل– هذه الكتب ليخبرنا فيها بقصص السابقين، ليكون فيها عظة وعبرة للاحقين، متخيلين؟ أنزل الله –عز وجل– هذه الكتب ليحكي لنا الله –عز وجل– فيها تاريخ من كان لنصنع بذلك مستقبلًا مبهرًا، احنا للأسف ضيعنا هذا ضيعنا هذا. أنزل الله –عز وجل– هذه الكتب ليكون فيها العظة والعبرة.

قال –تعالى–: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ" يوسف:١١١، أنزل الله هذه الكتب لنتعلم من قصص السابقين ونستفيد منها، أنزل الله الكتب لتثبت أقدام الناس في طريقهم إلى الله –سبحانه وتعالى–.

وهنا يطرح علينا سؤال إذا كانت الكتب فيها كل هذا الخير **فكيف تعامل الناس مع هذا الخير**؟ الأمم السابقة إزاي تعاملت مع الكتب التي أنزلها الله –عز وجل–؟

بيَّن الله لنا في القرآن كيف تعاملت الأمم السابقة مع الكتب التي أنزلها الله –عز وجل–، فبيّن لنا إن بعض الأمم سعت إلى ترك العمل بهذه الكتب: هناك أمم رفضت هذا النور، رفضت هذه الهداية، وتركت العمل بها، تركت العمل بهذه الكتب، كما قال الله –سبحانه وتعالى– في شأن يهود بني إسرائيل: "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" البقرة:٤٤، نظروا إلى التوراة فعطلوا العمل بها، قال الله –سبحانه–: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا –أي لم يعملوا بها– كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا" الجمعة:٥.

والنبي في يوم حذر الأمة وقال لهم اوعوا في يوم من الأيام تسيروا كما سارت الأمم من قبل مع كتب الله –عز وجل–، فقال بعدما نظر إلى السماء وقال: "هذا أوانٌ يُختلَسُ العِلمُ منَ النَّاسِ حتَّى لا يقدِروا منهُ علَى شيءٍ فقالَ زيادُ بنُ لَبيدٍ الأنصاريُّ كيفَ يُختَلَسُ العِلمُ منَّا وقد قرَأنا القرآنَ فواللَّهِ لنَقرأنَّهُ ولنُقرِئنَّهُ نساءَنا وأبناءَنا فقالَ ثَكِلَتكَ أمُّكَ يا زيادُ إن كُنتُ لأعدُّكَ مِن فُقَهاءِ أهلِ المدينةِ هذهِ التَّوراةُ والإنجيلُ عندَ اليَهودِ والنَّصارَى فَماذا تُغني عَنهم"[1] أي ما أغنت عنهم يوم تركوها وعطّلوا العمل بما فيها، ابتعدوا عن أوامرها ووقعوا في زواجرها، للأسف، كانت النتيجة ضلوا وأضلوا، وهذا أول انحراف حصل في الأمم السابقة مع كتب الله –عز وجل– المنزلة.

الانحراف الثاني: تحريف السابقين للكتب السابقة: حرفوا كتب الله –عز وجل– لتتناسب وتتلائم مع حياتهم، لتتناسب وتتلائم مع أهوائهم وشهواتهم:

"وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ" آل عمران:٧٨.

"أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ" البقرة:٧٥.

"مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ" النساء:٤٦.

"فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ" المائدة:١٣.

حرفوا كتاب الله –سبحانه وتعالى–، لما انتشر الزنا في بني إسرائيل عطلوا حكم الله –سبحانه وتعالى– في الرجم وحرفوه علشان يتلائم الحكم مع أهوائهم وشهواتهم، إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الوضيع أقاموا عليه الحد، حرفوا كتاب الله –عز وجل–.

وهناك انحراف ثالث ذكره الله –سبحانه وتعالى–، وهو ترك التحاكم لهذه الكتب: ترك التحاكم لهذه الكتب، قالوا لا لا، الأحكام اللي نزلت في هذه الكتب احنا مش عايزينها، لا عايزين أحكام شرعية ولا أحكام دنيوية احنا نعمل بمزاجنا احنا، بهوانا احنا، لذا حذرهم الله –عز وجل– فقال: "وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ"، وآية آخرى "فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"، وآية أخرى "فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ".

الانحراف الرابع تطبيق البعض وترك البعض: إنه يفعل أشياء ويترك أشياء، يفعل أشياء تتناسب مع هواه ويترك أشياء لا تتناسب مع هواه.

قال –تعالى–: "فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ" المائدة:١٤.

[1] صحيح الترمذي

قال الله –سبحانه وتعالى–: "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ" البقرة:٨٥، سبحان الله!

الأمر الخامس: كتموها؛ كتموا ما فيها عن الناس. كتموها وكتموا ما فيها عن الناس، كتموا ما فيها من الخير.

"الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ" الأعراف:١٥٧.

قال الله –عز وجل–: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" البقرة:١٤٦. سبحان الله! كتموا هذه الأمور.

شفتم قدر الانحرافات! شوفوا قدر الانحرافات! ومن أسوأ هذه الانحرافات عدم الاهتمام بهذه الكتب وعدم رعايتها وعدم الحفاظ عليها.

إذا كانت الأمم اللي قبلنا انحرفت بهذه الصورة ما الواجب علينا؟ ما الواجب علينا تجاه الكتب السابقة وتجاه كتاب الله –سبحانه وتعالى–؟

١– أول واجب عليك أن تؤمن بكل هذه الكتب التي أنزلها الله –عز وجل– على الأنبياء من غير تفريقٍ بينها، لا نفرق بين أحدٍ منهم.

٢– الواجب علينا العمل بها، العمل بما فيها. وواجب علينا احنا كمؤمنين نؤمن بما جاء في كتاب ربنا –عز وجل– ونعمل به.

قيل للنبي –صلى الله عليه وسلم– أنحن خير الناس؟ قال وما يمنعكم أن تكونوا خير الناس؟ رسول الله فيكم والوحي يتلى عليكم، ولكن خير الناس أقوام يأتون من بعدي يأتيهم كتاب –يعني القرآن–، آمنوا به وعملوا بما فيه، آمنوا به وعملوا بما فيه، الواجب علينا تجاه كتاب الله –سبحانه وتعالى– أن نؤمن به وأن نعمل بما فيه كما قال –صلى الله عليه وسلم– من قرأ القرآن وتعلمه وعمل بما فيه، ده الواجب علينا.

٣– كذلك أيضًا التحاكم ده من الواجبات علينا تجاه كتاب الله –عز وجل–، التحاكم إلى كتاب الله –عز وجل–، أحكامنا الشخصية، أحكامنا الدنيوية، كل الأحكام إنما نستقيها من كتاب الله –عز وجل–، وده كان من مجهودات العلماء الكبيرة جدًا تصنيفهم لكتب اسمها أحكام القرآن ابن العربي له أحكام القرآن، الإمام الجصاص له أحكام القرآن، الشافعي، البيهقي كل دول لهم كتب اسمها أحكام القرآن جمعوا فيها الأحكام المتعلقة التي ذكرها الله –سبحانه وتعالى– في كتابه، نتحاكم إلى كتاب الله شريعتنا قوانيننا إنما تكون مستقاة من كتاب الله –عز وجل–. والنبي حذرنا إن في اليوم اللي هنشرع فيه تشريعات أو نحكم فيه بأحكام غير موافقة لكتاب الله أو معارضة لكتاب الله، ساعتها بتكون فيه عقوبة شديدة.

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ويَتَخَيَّرُوا فيما أَنْزَلَ اللهُ إلا جعل اللهُ بأسَهم بينَهم"[٢].

٤– من الواجب علينا تجاه كتب الله –عز وجل– التي أنزلها على الأنبياء وبخاصة كتاب الله –سبحانه وتعالى– الذي أنزله على النبي –صلى الله عليه وسلم– تعظيمه؛ تعظيم هذا الكتاب.

كان الصحابة –رضي الله عنهم– والتابعون إذا أرادوا أن يضعوا المصحف وضعوه في أعلى مكان في البيت تعظيمًا لهذا الكتاب.

٥– من الواجب علينا تجاه كتاب الله –عز وجل– أن نتدبره وأن نتأمله وأن نعمل بما فيه: "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ" ص:٢٩.

٦– من الأمور أيضًا الواجبة علينا تجاه كتاب الله –سبحانه وتعالى– الدفاع عن كتاب الله –سبحانه وتعالى– إذا قام أحد الناس بوضع بعض الشبهات تجاه كتاب الله –سبحانه وتعالى– نقوم لندافع عن كتاب الله –سبحانه وتعالى–.

وآخر حاجة معانا النهاردة ما هي الآثار الإيمانية المترتبة على الإيمان بالكتب؟

١– أول أثر من هذه الآثار حب الله –عز وجل–، لما تعلم أن الله –عز وجل– أنزل كتابًا والغاية من هذا الكتاب أن يكون هداية لك ونورًا لك، فتعرف عظيم فضل الله –عز وجل– عليك، وهي من أجل وأعظم نعم الله أن يُنزل الله –عز وجل– في كل أمة كتاب لينير لهم الحياة وينير لهم الآخرة وينير لهم كل شيء، فساعتها تعرف قد إيه ربنا –عز وجل– بيحبك لما أنزل الله –عز وجل– هذا الكتاب.

[٢] صحيح الجامع



٢- الأمر الثاني من الآثار المترتبة على الإيمان بالكتب إذا عظمناها وعملنا فيها فأنا أضمن إن أنا في الطريق الصحيح السليم، فالإنسان منا إذا كان مرتبطًا بكتاب الله -عز وجل- وماشي على أوامر الله -سبحانه وتعالى- يعلم يقينًا أنه يصل إلى الله -سبحانه وتعالى- ويصل إلى الجنة في الآخرة.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "القرآنُ شافعٌ مشفَّعٌ، وماحِلٌ مصدَّقٌ، من جَعلَه أمامَه قادَه إلى الجنَّةِ"[٣].

٣- الأمر التالت: إن من آثار الإيمان بالقرآن وبالكتب السابقة أنها تحرر العقل من زبالات الفكر البشري، العالم الآن بيجري وراء الشذوذ ويدعم الشذوذ، اللي يرتبط بالقرآن فيرى ما قص الله -عز وجل- فيه مما يتعلق بالعقوبات التي نزلت على قوم لوط بسبب هذه الفاحشة، يتحرر عقله من زبالات العقل البشري اللي بيدعو إليه الآن.

المرأة النهاردة لما تتلو في كتاب الله -سبحانه وتعالى-: "مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ" النساء:٢٥، أي أصحاب مفيش حاجة اسمها في الدين أصلًا بنت تصاحب ولد، فتتحرر البنت من زبالات الأفكار البشرية، احنا شايفين ليل نهار هذا الاختلاط إلى أي شيء وصل.

الإنسان منا لما يعلم يقينًا إن الربا حرام وهو يتلو كتاب الله -عز وجل- ويتحرر من زبالات الفكر البشري إن الاقتصاد لا يقوم إلا بهذا الربا. ده دايمًا من الآثار المترتبة على الإيمان بهذه الكتب.

٤- كذلك أيضًا من الأمور المهمة جدًا المترتبة على الإيمان بالكتب أنها تنشئ أجيال اتربت على الأخلاق الفاضلة، أبنائنا اللي اتربوا في كتاتيب التحفيظ على سورة الحجرات وبناتنا اللي اتربوا على سورة النور، تنشأ أجيال مرتبطة بالأخلاق الفاضلة، مرتبطة بقيم عظيمة، مرتبطة فعلًا بمجتمع هيكون مجتمع نظيف، بعيد تمامًا عن الشهوات التي نراها ضجت في هذا المجتمع.

٥- من الآثار المتعلقة بالإيمان أيضًا بالكتب، إن الإنسان منا يسعد به في الدنيا ويسعد به في الآخرة، يسعد به في الدنيا قال -تعالى-: "وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم" المائدة:٦٦، آدي السعادة بإقامة كتاب الله -عز وجل-، فضلًا عن السعادة في الآخرة، يأتي القرآن صاحبه يوم القيامة فيقول له: ألا تعرفني؟ قال: من أنت؟ قال: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك بالهواجر وأسهرت ليلك، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: فيعطى -أي صاحب القرآن- الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار نوره أشد من نور الشمس، ايه ده! كرامة الدنيا والآخرة مرتبطة بكتاب الله -عز وجل-.

٦- والأمر الأخير نجاتك من الفتن مرتبطة على قدر ارتباطك بكتاب الله -سبحانه وتعالى-.

يقول حذيفة: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر حتى آتانا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم فتنة ودخن، قلت فما المخرج يا رسول الله؟ قال يا حذيفة تعلم كتاب الله واعمل بما فيه"، عايز تخرج من الفتن وتنجو من الفتن عليك بكتاب الله -سبحانه وتعالى- تعلمه واعمل بما فيه هي دي النجاة الحقيقية من الفتن.

ولو قعدنا نعد الآثار المترتبة على الإيمان بالكتب شيء عظيم جدًا وكثير جدًا، ولكن كما اشترطنا في أول حلقة ن الدرس يكون معانيه قليلة بسيطة علشان احنا بنرجع بعد ذلك نتوسع في هذه المعاني.

أسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته، وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين أقاموا حروفه وأقاموا حدوده، ولا يجعلنا ممن أقاموا حروفه وضيعوا حدوده، هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[٣] صحيح الترغيب